الموضوعية والذاتية في البحوث العلمية

الموضوعية والذاتية من القضايا التي انشغل فيها كل المهتمين بالبحث العلمي سواء المهتمين بالعلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية، واعتبروا أن المعرفة العلمية وصياغة النظريات العلمية تأتي من منهج علمي قائم على اخضاع الظاهرة للملاحظة والتجربة خارج نطاق الخلفيات المعرفية والاجتماعية للباحث العلمي للوصول إلى نتائج موضوعيه يمكن تعميمها، وفي الحقيقة أصبحت الموضوعية هاجس البحث العلمي على مدى قرون من قيام الثورات في أوربا الثورة الصناعية والثورة الفرنسية مما أدى إلى تطور مناهج البحث العلمي وخلق مزيد من الدقة لاستخلاص النتائج الموثوق بها.

فالمنهج العلمي حينما فصل بين الوقائع والقيم باعتبار أن المعرفة العلمية أو المنهج التجريبي هو منهج صارم وليس له شأن بالمعايير القيمية لصعوبة اخضاعها للأدوات الأبستمولوجيا كاللغة الرياضية والملاحظة والتجربة ودقة التنبؤات، فالقيم والمعايير الأخلاقية فضلا عن كونها عبارات زائفه وخاليه من المعنى مستحيلة منطقيا، لأن تلك العبارات اذا حللناها تحليلا منطقيا وجدناها لا تشير إلى أي شيء يماثلها بالواقع والمشكلة هنا تدور حول امكانية اشتقاق عبارات تعبر عن مفاهيم وتصورات أخلاقية من عبارات الملاحظة والواقع، ولما كان من غير المنطقي أن يتم هذا الاشتقاق أصبح من غير المسوغ أن نحتفظ بمثل هذه العبارات داخل السياق العلمي.

وفي الحقيقة يشير هذا الفصل بين الوقائع والقيم إلى حقيقة البحث عن الموضوعية لدرجة استبعاد كل ما يقلل من وجوده الحقيقي في البحث العلمي. قد تؤدي هذه الصرامة في المناهج العلمية والتجريبية إلى خلق علم جاف وأصم قد يكون له انعكاساته السلبية على الانسان والذي هو محور الاهتمام. وما نراه اليوم من تحديات كبرى يواجهها العالم ترتبط بشكل مباشر بالعلم وتطوره وتقدمه فالكوارث التقنية والمشكلات البيئية التي أصبحت متفلته من السيطرة تشير إلى الارتياب في العلم ذاته لأن التقدم العلمي يجب أن يواكبه تقدم موازي للأخلاق والقيم المتعلقة بالعلم.

وما أحببت ان اذكره هنا أن الموضوعية عندما تتجاوز فهم شعور الانسان واحتياجاته

الداخلية بحجة الموضوعية تكون بداية الأزمة.

وقد أكد الفيلسوف النمساوي بول فييرآبند الذي أدرك أن وثوقية العلم وصدق المعرفة العلمية لا يعتمد على مجموعه من القوانين والمناهج العلمية الثابتة، وإنما تلعب الخلفيات المعرفية والاجتماعية والايدلوجية والمعايير الأخلاقية دورها في التفسيرات التي يهتدي لها العلماء وفلاسفة العلم للظواهر والنظريات العلمية فانتفت مقولة الموضوعية المحايدة في العلم. لأن تقبل العالم لنظريه ما يعني اعتقاده أن النظرية التي يبرهن على صحتها هي أفضل نظريه متاحه في موضوع بحثه فمثلا التعاطف كقيمه معياريه أخلاقية قد تلعب دور فعالا في قبول أو فرض علمي ما أو نبذه فتعاطف عالم نحو فرض مقترح قد يساعد على تقدم العلم قدما.